S. KURI, s.j.

Monumenta Proximi-Orientis I. Palestine-Liban-Syrie- Mésopotamie (1523-1583).

فلسطين ـ لبنان ـ سورية ـ بين النهرين (١٥٢٣ ـ ١٥٨٣)

تحقيق الأب سامي خوري اليسوعيّ

صادر عن معهد التاريخ للرهبانيّة اليسوعيّة، روما، ١٩٨٩

من البديهيّ القول إن لا كتابة للتاريخ دون العودة إلى الأصول، ومن المعروف أيضًا إن لا إفادة من تلك الأصول والمستندات والوثائق التاريخيّة في حال إبقائها دفينة في الخزائن أو محفوظة بعيدة عن متناول المفكّرين والباحثين. فالتاريخ المكتوب يبقى مبتورًا أو ناقصًا لجهة تحديد خفايا الوقائع والمنازعات في حال عدم إصدار هذه الأصول. لذلك قامت منذ بداية هذا القرن عدّة محاولات من أجل جمع هذه الأصول ونشرها، أبرزُها وأهمّها تلك التي قام بها الأخوان فيليب وفريد الخازن عام ١٩١٠ تحت عنوان «المحرّرات السياسيّة والمفاوضات الدوليّة عن سوريا ولبنان»، ومن ثمّ المؤرّخ الدكتور عادل إسماعيل تحت عنوان «مستندات دبلوماسيّة وقنصليّة»، ظهر منها حتّى الآنَ ٣٥ مجلّدًا يختصّ بالأرشيف الفرنسيّ المتعلّق بلبنان، بالإضافة إلى الوثائق والمستندات التي تمّ نشرها في الصحف والمجلاّت، وبعض المؤلّفات الأخرى.

ولكن مع التأكيد على الطابع الإيجابيّ لهذا الجهد من أجل مساعدة المفكّرين والباحثين، فمن المعروف أيضًا أنّنا ما زلنا في بداية الطريق في هذا المضمار ويقتضي بذل جهود ضخمة لإصدار الأرشيف التاريخيّ اللبنانيّ ـ خاصّة عندما نقرأ بقلم الأب بولس صفير، حافظ المكتبة البطريركيّة المارونيّة في بكركي «أنّ جميع الوثائق والمستندات القديمة المحفوظة في الأرشيف البطريركيّ

في بكركي... يقارب المليون وثيقة»[1].

وإذا ما تصوّرنا الجهد الذي يُفترض القيام به من أجل تذليل العقبات لنشر الوثائق القديمة من قراءة وتحليل وتعليق وشرح، يتأكّد لنا العمل الذي قام به الأب سامي خوري في إصدار الجزء الأوّل من مؤلّفه الخاصّ بأرشيف الرهبانيّة اليسوعيّة فيما يعود للشرق الأدنى (فلسطين، لبنان، سوريا وما بين النهرين) خلال الفترة الممتدّة بين ١٥٢٣ و١٥٨٣.

يحتوي هذا المجلّد البالغ ٦٦٢ صفحة مقدّمةً عامّة مع لائحة بالمراجع في ١٣٨ صفحة ـ بالإضافة إلى ١٦٦ وثيقة وفهارس في ٤٨٣ صفحة. والقسم الأكبر من هذه الوثائق منشورة بلغتها الإيطاليّة الأصليّة وقد قام الأب سامي خوري بوصف سريع لكلّ رسالة وبتقديم لمحة موجزة لكلّ فقرة في مستهلّ كلّ رسالة مع التعليق والشرح اللازم لتوضيح ظروف توجيه هذه الرسائل. فمن الطبيعيّ أن يكون هذا الأمر قد استنفد جهدًا كبيرًا خاصّة وأنّ هذه المرحلة المشمولة بالرسائل هي من أدقّ المراحل التي مرّت بها الطائفة المارونيّة وبعض الطوائف الأخرى في المشرق العربيّ.

ومن أهمّ مميّزات هذه الرسائل إبراز وضعيّة الطائفة المارونيّة في خضم تلك المرحلة التجديديّة المهمّة، أنّ في موضوع الطقوس أو التنظيم الكنسيّ أو التربية. فالوثائق المنشورة تثبّت الاستمراريّة المنهجيّة لعمل البطاركة من أجل تنظيم الطائفة المارونيّة وفقًا لتوجيهات الكرسيّ الرسوليّ وتقرير مفاهيم التربية في المجتمع الماروني. فهذا المؤلّف يبيّن، للمرّة الأولى واستنادًا إلى تتابع منهجيّ للوثائق، تطوّر الحياة الفكريّة والدينيّة واليوميّة في مجتمع شرق أوسطيّ، بحيث إنّ دقّة عمل الأب سامي خوري في إصدار هذه الوثائق قد أفسح في المجال، للباحثين والمفكّرين، لمتابعة تطوّر هذا الحوار بين الطائفة المارونيّة القاطنة في جبال شمال لبنان والكرسي الرسوليّ والرهبانيّة اليسوعيّة الممثّلة بالآباء إليانو وراجيو وبرونو.

---

(١) الأب بولس صقير: أرشيف البطريركيّة المارونيّة ـ مجلّة «دراسات»، العددان ١٣ ـ ١٤، ١٩٨٤، صفحة ٢١ وصاعدًا.

إنّ المرحلة التي «تغطّيها» ما نشره الأب سامي خوري من وثائق كانت غامضة نسبيًّا حتّى اليوم، وقد يلقي هذا المجلّد الأوّل أضواء جديدة على تلك الحقبة التي طالما تكلّم عنها العديدون دون الاطّلاع على مختلف خفايا الأمور والأوضاع. واللافت إلى الانتباه هي المشاقّ التي كان يتكبّدها هؤلاء الأشخاص المتنقّلين بين الأمصار حيث كان عليهم مراعاة الظروف العائدة إلى جور الحكّام ومخاطر السفر والبحار وصعوبة التنقّل والأمراض، دون أن تقوم هذه الصعوبات عقبة دون حيويّة العمل الذي قام به الآباء المرسلون.

ويتبيّن من مراجعة الوثائق المنشورة الاهتمام البالغ والعاطفي لهؤلاء المرسلين بقضايا الطوائف المسيحيّة، الدينيّة منها والحياتيّة، مع عرض للمشاكل المطروحة وتجاوب السلطات الزمنيّة والدينيّة مع الخطوات التجديديّة في المجتمع الماروني.

ولا بدّ هنا من الإشارة إلى الجدال الحاصل بين المؤرّخين في شأن بعثة الأب إليانو إلى لبنان ـ إذ يعتبر البعض إنّ هذا الأب قام بحرق قسم من التراث الدينيّ والتاريخيّ الماروني فحرم الأجيال التالية من تلك المراجع الهامّة. إنّ هذا الجدال يتجاوز حدود تعليقنا، ولكن لا شكّ في أنّ مؤلّف الأب سامي خوري يلقي أضواء جديدة في موضوع بعض المؤلّفات التي درسها إليانو واعتبرها مخالفة لتعاليم الدين الكاثوليكيّ، فيستخلص، بشهادة البطريرك الدويهيّ والرسائل المتبادلة المنشورة، أنّ هذه المؤلّفات التي درسها إليانو والبالغ عددها ٢٢ مؤلّفًا والتي كانت بحوزة الموارنة، لا تعني أنّ هؤلاء الآخرين كانوا يعملون لها. وقد أورد البطريرك الدويهيّ الذي اطّلع عن كثب على دفتر الأب إليانو، الذي كان يسجلّ فيه أفكاره، أنّ هذا الأب «لم يعتمد على حقّانيّة هذه التهمات، فما همل عن انتشارها ولا عن إيضاح سفره لجبل لبنان وتعبه مع طائفة الموارنة لينتقذهم من هذه الرزايا ويقدّمهم إلى طاعة الكنيسة. فيتحقّق على رأي كلّ ذي حكمته أنّ جوان باطستا ما كتب هذا الدفتر إلاّ ليستعطف خاطر البابا غريغوريوس حتّى يقيم لهم مدرسة تتأدّب بها أولادهم[1]...

(١) الأب سامي خوري: المرجع المذكور صفحة ٣٨٧.

يحمل هذا المؤلّف في طيّاته تساؤلات أكثر ممّا هو يعبّر عن أجوبة. وهذا هو القدر المفروض عند إصدار الوثائق والمستندات الأوليّة لدراسة مادّة التاريخ التي تشكّل فرضيّة علميّة تتميّز بالدقّة والأمانة. وهذه هي الوسيلة التي اعتمدها الأب سامي خوري في مؤلّفاته وأبحاثه التي طالما رغب، من خلالها، تقديم المادّة الأوليّة للأبحاث التاريخيّة والدينيّة لكي يستفيد بحّاثة اليوم والغد من حقائق الماضي لتعزيز رؤيتهم ومنهجيّتهم التاريخيّة.

هيام ملاّط

خلق الإنسان والعالم في نصوص من الشرق الأدنى القديم

تأليف مجموعة من الباحثين

نقله إلى العربيّة الأب سليم دكّاش اليسوعيّ

سلسلة: «دراسات في الكتاب المقدّس» رقم ٣٠، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٠،

٨٤ صفحة

في هذا الكتاب نصوص مختارة من تراث الشرق الأدنى القديم (بلاد ما بين النهرين ومصر وأوغاريت) تتناول موضوع خلق الإنسان والعالم. والهدف من نشر هذه النصوص هو المساهمة في فهم الفصول الأولى من الكتاب المقدّس (سفر التكوين) والمقارنة بالتالي بين نصوص الكتاب المقدّس والنصوص السابقة من تراثات الشرق الأدنى القديم.

فقبل أن يصيغ الشعب العبرانيّ، في ضوء إيمانه الخاصّ، تصوّره للبدايات، اجتهدت ثقافات أخرى في الإجابة عن أسئلة مهمّة طرحها الإنسان منذ القديم من خلال الإطار الأدبيّ للأسطورة أو الرواية: مَن هم البشر؟ ما هي علاقتهم بالآلهة؟ كيف نظّموا واقع العمل، والثنائيّ الزوجيّ، والتوالد والعبادة؟ ما هو نظام العالم؟ مَن يشرف على القوى الكامنة في هذا العالم ومَن تخضع؟ كيف نفهم الكوارث التي تحلّ بالبشريّة، كالجفاف والمجاعة والأمراض والفيضانات؟ فقبل الكتاب المقدّس، هناك سعي دينيّ قديم حاول الإجابة عن هذه الأسئلة.

والرغبة في فهم الذات، من خلال العودة إلى الأصل، ليست وليدة العصريّات: فالقضيّة تتعلّق بمعنى الوجود الإنسانيّ وبعلاقاته بالألوهة والرجاء. والعودة إلى الأصول تتمّ في ثلاث محطّات:

- المحطّة الأولى وهي الأهمّ (نظرًا إلى تأثيرها في النصوص الكتابيّة)، هي نصوص بلاد ما بين النهرين، وقد نشر منها في هذا الكتاب اثنا عشر نصًّا تتناول موضوع الخلق وأصل الكون وتكوين العالم وتكوين الإنسان.

- المحطّة الثانية هي نصوص خلق العالم في التراث الدينيّ المصريّ. وقد نشر منها في هذا الكتاب ستّة نصوص.

- والمحطّة الثالثة هي نصوص متعلّقة بولادة العالم والآلهة في نصوص أوغاريت.

من أنت أيّها الكاهن؟

تأليف الخوري يوحنّا الحلو

سلسلة «الحياة الروحيّة»، دار المشرق، بيروت، ١٩٩١، ٩٥ صفحة

كتاب الخوري يوحنّا الحلو في هويّة الكاهن وأحواله اليوم، يستند إلى اختبار شخصيّ عميق لماهيّة الكاهن ودوره وعمله في الكنيسة والمجتمع. كما أنه يقوم على قاعدة فكريّة لاهوتيّة روحيّة واسعة لها أصولها في الكتاب المقدّس وآباء الكنيسة وتعليم المجامع والكنيسة. وهذا كلّه خطّه الكاتب بقلم تعبيريّ، يصوغ الفكرة تلو الفكرة بالمنطق السليم، فتصل إلى القارئ جملة تلو الجملة سهلة واضحة قريبة من القلب والعقل معًا.

ويقوم كتاب الخوري يوحنّا الحلو على معادلة جوهريّة: لا بدّ أن يتأصّل الكهنوت في نداء الله واختياره، وهذا يلتقي مع رغبة أكيدة، عند طالب الكهنوت، في خدمة الكنيسة وعبّة الله والآخرين. يشدّد الكاتب في الصفحات الأولى على أنّ الدعوة الكهنوتيّة هي اختيار إلهيّ حرّ، وفي الوقت عينه، هي جواب إنسانيّ حرّ على تلك الدعوة، وكلّ تدخّل بشريّ يجعل هذا الصعيد يعرقل المسيرة ويشوّه غايتها. وإذا نشأت الدعوة في العائلة والمدرسة والرعيّة، فلا بدّ أن تظهر هذه الدعوة في علامات مرئيّة، هي عبّة الله والإصغاء إليه وإلى كلمته وكلمة الكنيسة، وهي أيضًا الصلاة والأمانة. أمّا وظيفة الكاهن (أو نشاطه السليم) فلا بدّ أن يتجسّد في الوعظ والإرشاد والتعليم والإصغاء إلى المؤمنين في منبر التوبة (وهو مدرسة روحيّة بذاتها)، وكذلك في أعمال المحبّة، التي هي مشاركة في عمل الفداء والخلاص. ولا بدّ أيضًا لمن يريد المحبّة عنوانًا لحياته وممارسة لها أن يحيا فقيرًا مثل المعلّم، ومتّضعًا إذ يوزّع عاطفته على الجميع، وصبورًا قنوعًا.

وعندما يتحدّث الكاتب عن معاثر الكهنوت فهو ينطلق من الواقع اللبنانيّ الكنسيّ، حيث يتعرّض الكاهن لشتّى الاختبارات والتجارب، فمن المهمّ أن يعي الإنسان هذه المشاكل وأن يطرحها بجرأة، وهي حبّ المال، والتحرّق إلى المناصب الكنسيّة، والتسلّط، والعلمنة المرتهنة، والفشل، والعزلة، والمنافسة على المكاسب، والحصول على أنواعه. إنّها صفحات تدعو الكاهن إلى وقفة مع الذات، يتأمّل فيها أين أصبح مع دعوته وكيف عليه أن يعيشها في حياة الإصغاء إلى كلمة الله، يؤمن بهذه الكلمة ويؤمن بمَن قالها، أي يؤمن بشخص يسوع المسيح الذي اختاره خادمًا له.

إنّ الكاهن في الحياة الاجتماعيّة والكنسيّة هو في صميم تناقض بين مؤيّد له ومعارض لدوره. كتاب الخوري يوحنّا الحلو لا يقودنا إلى المثاليّات والأفكار المجرّدة، بل هو يقودنا إلى الكاهن، في واقعه اليوم: الكاهن ليس نوعًا من «الزقة» في الكنيسة، بل هو من المسيح وفي

المسيح ولا بدّ له أن يحيا في نضال مستمرّ ليشهد للمسيح وكنيسته في عالم المتغيّرات والصعوبات وليحقّق رسالة الخلاص التي عهد بها إليه.

الرهبانيّة اليسوعيّة: القوانين التأسيسيّة
وضعها القدّيس إغناطيوس دي لويولا

صدر عن «دار المشرق» (كانون الأوّل ١٩٩٠، في ٣١٢ ص) كتاب «القوانين التأسيسيّة»، وضعها القدّيس إغناطيوس دي لويولا، وذلك لمناسبة مرور ٤٥٠ سنة على إنشاء الرهبانيّة اليسوعيّة عام ١٥٤٠، و٥٠٠ سنة على ولادة إغناطيوس دي لويولا عام ١٤٩١. والواقع أنّ الكثير يقال عن اليسوعيّين، منه الصحيح ومنه الخطأ، منه للتقريظ ومنه للذمّ، فهذا الكتاب، «القوانين التأسيسيّة»، يرسم صورة أولى وأساسيّة للرهبانيّة اليسوعيّة، ما تشكّله ضمن الكنيسة وما تحقّقه من أجل الكنيسة والإنسان في مختلف البلدان. وهذه القوانين هي دستور لأوّل رهبانيّة رسوليّة عرفتها المسيحيّة، فتُشرّع في موضوع الرسالة والإرسال وعلاقة ذلك بالبابا، وفي موضوع الإدارة ورأس الرهبانيّة، الذي هو رئيسها العامّ المنتخب رئيسًا حتّى وفاته أو استقالته. وعلى مثال القوانين التأسيسيّة الأخرى، فهي تضع القواعد لقبول المبتدئين، إلاّ أنّها تتوقّف طويلاً حول التنشئة الرهبانيّة كالمحافظة على الذين في الابتداء وتقدُّمهم وكذلك إدارة المعاهد والمدارس والجامعات. وهناك أيضًا تلك الفصول الشهيرة التي كتبها القدّيس إغناطيوس في ما يختصّ بالحياة الرهبانيّة الشخصيّة.

فالقوانين الرهبانيّة هذه هي بناء متكامل، له طابعه القانونيّ الواضح، إلاّ أنّه يتميّز، فيما يتميّز به، بأنّه يستند إلى روحانيّة خاصّة ضمن الكنيسة، هي روحانيّة الصلاة والتأمّل والمشاهدة من ضمن العمل الرسوليّ نفسه، وروحانيّة التمييز فيما يجب القيام به من أجل خلاص النفوس والخير الأشمل والأعظم، لمجد الله الأعظم.

والترجمة العربيّة هذه هي عن الفرنسيّة وقد قام بها صاحب الترجمات العديدة الأب صبحي حموي اليسوعيّ، وهذه الترجمة نقلت كلمة كلمة بالأصل الإسبانيّ كما وضعه القدّيس إغناطيوس، قام بذلك الأب سامي خوري اليسوعيّ، كما استعين بالترجمة اللاتينيّة، وهي النصّ الكنسيّ الرسميّ، لتوضيح ما فيه شيء من الغموض.

ويقول الأب بولس سركيس، رئيس إقليم الشرق الأدنى للرهبانيّة اليسوعيّة في تقديمه للكتاب: «في العالم العربيّ فروع لجمعيّات رهبانيّة كثيرة تستوحي روحانيّتها وتخطّ حياتها ممّا وضعه القدّيس إغناطيوس، كما أنّ هناك بعض العلمانيّين، من مؤرّخين ورجال قانون وفلاسفة تأثّروا هم أيضًا بهذه الروحانيّة، فلا نشكّ أنّهم جميعًا يحرصون على التعمّق فيها».